○ رجال الشرطة ينتشرون في موقع التفجير الذي أودى بحياة وزير المالية اللبناني السابق محمد شطح في بيروت الغربية.

لبنان وعودة شبح الحرب الأهلية.. وجهة نظر غربية

مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية

انتهى عام ٢٠١٣ مثلما بدأ على حاله مع الأزمة اللبنانية من حيث التخوف من أن يمتد الصراع في سوريا إلى الأراضي اللبنانية، وعودة شبح الحرب الأهلية التي كانت راقدة تحت الرماد منذ عام ١٩٩٠؛ فالمخاوف التي أذكتها التفجيرات المتتالية والتي كانت تستهدف شخصيات قيادية أو مدنية من هذا الطرف أو ذاك، آخرها يوم الخميس ٢٠١٤/١/٢ فضلاً عن تفجير السفارة الإيرانية قبل شهر واستمرار الجمود المحاط بتشكيل الحكومة، تزايدت صباح يوم ٢٠١٣/١٢/٢٧ مع مقتل «محمد شطح»، العضو بتحالف ١٤ آذار والمستشار السابق لرئيس الوزراء «رفيق الحريري» الذي قد قُتل في حادث انفجار سيارة مفخخة مماثل لذلك الذي قتل فيه «شطح» وكذلك انفجار سيارة ملغمة في الضاحية الجنوبية معقل حزب الله أدت إلى مقتل وإصابة العشرات.

وعلى الرغم من أنه لم تعلن أي جماعة مسؤوليتها عن الحادث، يؤكد الكثيرون أن التشابه بين حادثي اغتيال كل من «محمد شطح» و«رفيق الحريري» ليس من قبيل المصادفة، وهو ما أكدته من جانبها الكثير من الصحف الغربية؛ إذ أشارت الجارديان في افتتاحيتها يوم ٢٠١٣/١٢/٢٧، الى أنه لا شك أن تصفية «محمد شطح» متعلقة تمامًا بالتحقيق في مقتل «رفيق الحريري» وبتلك المحاكمة التي من المقرر أن تبدأ منتصف يناير لخمسة من المشتبه بهم، وجميعهم من أعضاء «حزب الله» وسيحاكمون غيابيًّا، وأيضًا متعلقة بمسألة رفض حزب الله تسليم المتهمين إلى السلطات المعنية من أجل محاكمتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي.

وفي تصريحات أدلى بها «سعد الحريري» الموجود حاليًّا بالمملكة العربية السعودية ضمانًا لسلامته ونشرتها مجلة التايم في مقال «تفجير بيروت: هل يتجه لبنان صوب حرب أهلية مرة أخرى» يوم ٢٠١٣/١٢/٢٧، أكد أن أولئك الذين اغتالوا «شطح» هم الذين اغتالوا «رفيق الحريري». وفي إشارة إلى «حزب الله»، واستمرارًا لسيناريو الادعاءات، أوضحت مجلة «كريستيان ساينس مونيتور» في افتتاحيتها «انفجار بيروت يخرس الألسنة المناهضة للكيان السوري ويلقي بظلاله على الاغتيالات الماضية» يوم ٢٠١٣/١٢/٢٧، لفتت المجلة الى أن هناك من يقول إن المتهمين هم نفس الأشخاص الذين يريدون التهرب من العدالة الدولية ويرفضون المثول أمام المحكمة الدولية.. فهم يجلبون بؤر الشر والفوضى إلى داخل الأراضي اللبنانية، ليس هذا فحسب بل إنهم يستدرجون المشاكل الإقليمية الملتهبة إلى البلاد.

مخاوف عودة الحرب الأهلية في لبنان تزايدت مع مقتل «محمد شطح» العضو بتحالف ١٤ آذار

في نفس السياق أشارت صحيفة التليجراف في افتتاحيتها يوم ٢٠١٣/١٢/٢٧، إلى أن «شطح» قبل مقتله بساعات أشار إلى عمق الأزمة الطائفية في لبنان، وكتب على حسابه على موقع تويتر يدين حزب الله وضغوطه من أجل الحصول على صلاحيات واسعة في مجال الأمن والسياسة الخارجية، وقال إنها صلاحيات أشبه بالتي حصلت عليها سوريا طوال تواجدها في لبنان على مدار ١٥ عامًا. وأشارت الصحيفة الى أن الوضع الأمني في لبنان قد تدهور سريعًا في السنوات الثلاث الأخيرة، وتزامن ذلك مع بداية الربيع العربي وانهيار الحكومة التي كان يقودها «سعد الحريري»، وحلت محلها حكومة بقيادة «حزب الله».

في هذا الصدد اعتبرت صحيفة لوفيجارو في افتتاحيتها يوم ٢٠١٣/١٢/٢٨، أن اغتيال شخصية مقربة من رئيس الحكومة اللبنانية الأسبق «سعد الحريري» من شأنه أن يفتح باب التصعيد على مصراعيه بين المؤيدين والمناهضين لسوريا، معتبرة- بحسب المحللين في لبنان- أن ظلّ سوريا يخيم على عملية الاغتيال، كما أشارت الصحيفة إلى حديث مع الكاتب اللبناني «إميل حكيم» اعتبر فيه أن «شطح» كان هدفًا مميزًا لكل من يبحث عن إشعال النار الطائفية في البلاد.

ومن جانبه أشار «روبرت فيسك» بصحيفة الاندبندنت يوم ٢٠١٣/١٢/٢٨، الى أن القنبلة التي قتل بها «محمد شطح» كانت موجهة بالأساس الى السعوديين؛ لأن «شطح» كان يمثل الوجه الأفضل لتحالف ١٤ آذار الذي تدعمه السعودية، مضيفًا أن الوسطيين دائمًا أول من يتم استهدافهم في عمليات الاغتيال بلبنان، ولمح «فيسك» إلى أن التفجير تم تنفيذه بنفس التخطيط الدقيق، وفي مركز بيروت أيضًا، وعلى بعد نصف ميل من المكان الذي اغتيل فيه «رفيق الحريري» منذ حوالي ٩ سنوات.

وأشار «فيسك» أن «شطح» كان يعمل مستشارا ماليا للحريري الأب والابن، ومن المؤكد أنه كان يعلم أنه - مثل العديد من الرجال الجيدين في لبنان - مستهدف، مشيرًا الى أن «شطح» انتقد حكم «بشار الأسد» لسوريا وانتقد الدور المسلح لحزب الله في لبنان، مستشهدًا بإحدى كتابات «شطح» المتكررة حين قال: «إن وجود سوريا متحدة تعيش بسلام تحت حكم الأسد أمر أصبح غير محتمل».

وهكذا، وعلى الرغم من وجود المنطق الذي يفضي إلى أن مثل هذا الهجوم قد نُفذ من قبل حزب الله أو حلفائه، فإن هناك افتراضا أن يكون مثل هذا الاغتيال مسألة شخصية وسياسية للغاية بالنسبة لرجل مثل «سعد الحريري»، وفي النهاية تبقى مثل هذه الاتهامات قادرة على تأجيج مزيد من الانقسام الطائفي الذي يخشاه العديد من اللبنانيين.

إذ قام العديد بانتقاد «حزب الله» على مدار السنوات الأخيرة، مشيرين إلى أنه يستغل وضعه كمليشيا مسلحة لتقويض النظام السياسي للبنان عنوة، ويتضح ذلك من خلال ما قاله «شطح» في رسالة مفتوحة كتبها إلى الرئيس الإيراني «روحاني» ونشرتها صحيفة «وول ستريت جورنال» في افتتاحيتها «رسالة محمد شطح المفتوحة إلى طهران» يوم ٢٠١٣/١٢/٢٨، والتي يشير فيها إلى أن إصرار «حزب الله» على أن يظل تنظيمًا عسكريًّا مستقلاً تحت شعار «المقاومة الإسلامية» يمثل عائقًا كبيرًا، ولاسيما في خضم الحاجة إلى بذل المزيد من الجهود الوطنية لتعزيز مؤسسات الدولة ولوضع حد لآثار الحرب الأهلية وانتشار الأسلحة في جميع أنحاء البلاد.

وفي السياق نفسه، أشار «فيسك» بنفس الصحيفة في اليوم التالي: إلى أن مقتل «شطح» جاء في إطار الحرب الباردة بين السنة والشيعة في المنطقة والتي بات اشتعالها في عدد من دول المنطقة وشيكًا، مضيفًا أن العراق وسوريا وإيران ولبنان باتت تشتعل فيها بوادر حرب أهلية وشيكة بعد أن تجمد الصراع الطائفي فيها لفترة بفعل الحرب الباردة بين الشرق والغرب، لافتًا إلى أن «شطح» هو ضحية اشتعال هذه الحرب الطائفية في سوريا والتي باتت تمتد نحو الأراضي اللبنانية وتزداد وتيرتها شيئًا فشيئًا؛ حيث إن منطقة الشرق الأوسط باتت تغلي من جديد، مهددة بحرب حقيقية ومرعبة.

وهو الأمر الذي حذرت منه صحيفة صنداي تايمز في افتتاحيتها يوم ٢٠١٣/١٢/٢٩؛ حيث أشارت إلى انتشار شرر الحرب في سوريا إلى دول الجوار، وقالت إن عملية الاغتيال التي تعرض لها «شطح» تعتبر دليلاً على أن الأزمة السورية بدأت بالإخلال بتوازن واستقرار لبنان والمنطقة برمتها، وهو ما وصفته صحيفة الاندبندنت أون صنداي بافتتاحيتها في اليوم ذاته، بأن مقتل شطح إسكات لصوت الاعتدال على المستوى الإقليمي، وأنه يعتبر من مؤشرات انتقال تداعيات المستنقع السوري إلى دول الجوار.

وفي غضون الأيام التي تلت وفاة «شطح»، أوضحت مجلة كريستيان ساينس مونيتور في افتتاحيتها التي جاءت تحت عنوان «السعودية تعد بمنح ٣ مليارات دولار على سبيل المعونات العسكرية للبنان» يوم ٢٠١٣/١٢/٢٩، أن الخطوات التي اتُخذت لتعزيز الجيش اللبناني والتي تتجسد في قيام السعودية بمنحه ٣ مليارات دولار على سبيل المساعدات العسكرية، فضلاً عن التوصل إلى اتفاق مع فرنسا بشأن زيادة مبيعات الأسلحة بغية تحسين قدرات القوات المسلحة الشرعية التابعة للدولة، من غير الواضح ما هي الشروط التي تقف وراءها، غير أنها عادت ونقلت في اليوم التالي عن «مروان حمادة»؛ مسؤول كبير بتحالف ١٤ آذار، إن كلاً من إعلان «بعبدا» والصفقة السعودية الفرنسية اللبنانية ستضع حدًّا للتفوق العسكري الذي يتمتع به «حزب الله» في كل من لبنان وسوريا، كما أشارت إلى أن الاتفاق الذي تم التوصل إليه سيجعل جميع الأطراف في لبنان يلتزمون بسياسة الحياد حيال سوريا.

من جانبها أشارت صحيفة «الديلى تليجراف» في افتتاحيتها «المساعدات السعودية غير المسبوقة للبنان تهدف إلى تعزيز الجيش» يوم ٢٠١٣/١٢/٣٠، أن المساعدات السعودية غير المسبوقة للجيش اللبناني، والتي تبلغ ٣ مليارات دولار، تهدف إلى تعزيز القوات المسلحة، مشيرة إلى أن الجيش اللبناني يخطط لاستخدام هذه المساعدات الضخمة في شراء أسلحة حديثة من فرنسا؛ إذ إنه يكافح من أجل احتواء العنف الممتد إلى البلاد، بسبب الصراع الضاري في سوريا المجاورة، الذي أشعل التوترات الطائفية في لبنان ويهدد استقراره، مضيفة أن ضعف الوضع في لبنان تجلى في حادث اغتيال «شطح» المعارض لسوريا.

واتصالاً خصصت الصحف الفرنسية حيزًا كبيرًا لزيارة الرئيس الفرنسي «فرانسوا هولاند» إلى السعودية والجوانب السياسية والاقتصادية لهذه الزيارة؛ إذ أشارت صحيفة لوفيجارو في افتتاحيتها «هولاند مستعد لتجهيز الجيش اللبناني الضعيف» يوم ٢٠١٣/١٢/٣٠، أن الرئيس الفرنسي تعهد في الرياض عقب لقاء مع العاهل السعودي الملك «عبدالله بن عبدالعزيز» بـ«تلبية» طلبات تسليح الجيش اللبناني لدعم الرئيس «ميشال سليمان»، وهي أكبر مساعدة عسكرية في تاريخ لبنان.

وترى الصحيفة أن العاهل السعودي مصاب بخيبة أمل من إدارة الرئيس الأمريكي «باراك أوباما»، بينما يقدر موقف فرنسا الصارم ضد سوريا، وفيما يتعلق بالقضية النووية الإيرانية.

وبمجرد إعلان هذا الاتفاق، أطلق الجيش اللبناني النيران ضد المروحيات السورية التي اخترقت المجال الجوي اللبناني، وهي المرة الأولى التي يتخذ فيها الجيش اللبناني مثل هذا الإجراء منذ بداية الحرب الأهلية. وبالرغم من عدم وجود أدلة تفيد بأن هناك صلة بين الواقعتين (وهما الاتفاق وحادث إطلاق النيران) وبين القرار الذي اتخذه (الجيش اللبناني)، فإن ضربة الجيش اللبناني بعد فترة وجيزة من الاتفاق قد يثير الشكوك بشأن تعزيز موقفه ضد النظام السوري، آخذًا في الاعتبار الموقف السعودي المتشدد ضد نظام «الأسد»، وهو ما أشارت إليه صحيفة الاندبندنت في افتتاحيتها يوم ٢٠١٣/١٢/٣٠.

وأخيرًا أشارت «آن برنارد» في مقالها «لبنان قلق حول الحدود وإطلاق نيران على المروحيات السورية في مجالها الجوي» والذي نشر بصحيفة النيويورك تايمز يوم ٢٠١٣/١٢/٣٠، إن إطلاق القوات المسلحة اللبنانية النيران على الطائرات السورية التي دخلت المجال الجوي للبلاد، يعد العمل الأول من نوعه منذ أن هددوا الصيف الماضي بمهاجمة أي قوات أو مركبات أو طائرات حربية تنتهك الأراضي اللبنانية من سوريا، مضيفة أن الحكومة اللبنانية تقع تحت ضغوط لتشديد حدودها، حيث إن مع تفاقم الحرب الأهلية في سوريا، عمقت الانقسامات السياسية والطائفية في لبنان مؤدية إلى ارتفاع عدد السيارات المفخخة، والقصف والمعارك في الشوارع.

وتابعت «برنارد» في حين أن البعض استقبل المنحة السعودية على أنها وسيلة لتعزيز الجيش الذي يواجه مجموعة متزايدة من تهديدات من متشددين داخل لبنان، نظر إليها البعض الآخر على أنها استفزازية، ولاسيما من قبل أنصار «حزب الله»، الذين رأوا أنها محاولة للحد من نفوذ الحزب على الجيش.

○ في موقع الإنفجار قرب السفارة الايرانية

○ آثار الدمار في موقع تفجير سيارة ملغومة قرب معقل حزب الله في الضاحية الجنوبية.

الجارديان: تصفية «محمد شطح» متعلقة بالتحقيق في مقتل «رفيق الحريري»

○ في موقع التفجير الذي أدى إلى إغتيال رفيق. الحريري

كريستيان ساينس مونيتور: صفقة السلاح السعودية الفرنسية اللبنانية ستضع حدًّا للتفوق العسكري الذي يتمتع به «حزب اللّه»